المحور الأول : السياق المفاهيمي

لتحديد مفهوم الفكرة وجب أول تحديد تعريفتها على مختلف المستويات الأفقية والعمودية، أي سياقها التعريفي، فسياقها التاريخي. وكذلك وجد تحديد طبيعة مختلف المفاهيم المشتقة والمتداخلة منها ومعها. وعليه يطرح التساؤل هنا حول مكونات سياق المفاهيمي لفلسفة التاريخ:

1. مدخل مفاهيمي :

1. 1. الفلسفة:

لغويا الفلسفة، من الكلمة اليونانية القديمة philosophía /φιlectoσοφία تتكون من φιlectéω / philéô "الحب"، وσοφία / sophía، "الحكمة أو المعرفة"، وتعني حرفيًا "حب المعرفة" وعادةً "حب الحكمة". ذلك أن الفلسفة لا تعني "إمتلاك" الحكمة بقدر ما تعني محبتها والسعي الى التحلي بها.

أما مضمونا فيُعنى بالفلسفة مجالا فكريا متمايزا، يبحث عن فهم العالم والحياة في كليتها وجزئياتها من خلال التساؤل والتأمل والتفكير العقلاني والنقدي، بحثا عن المعنى والغاية من الحياة وأنظمة التفكير الانساني والعالم برمته، من خلال التأمل والتساؤل حول المحيط الخارجي للإنسان بداية من الكون، الطبيعة، أم الأمور التي تحدد حياة الانسان من قيم وحياة اجتماعية وسياسية، في محاولة لتأسيس نظريات فهم ومعنى بطريقة عقلانية. فالهدف الأساسي من الفلسفة هنا يصبح المساعدة على فهم العالم والحياة وذواتنا، بطريقة عقلانية، بعيدا عن الأفكار المتوارثة والأحكام المسبقة الغير متحقق منها.

تنطلق الفلسفة من التأمل والمساءلة النقدية التي تنطلق الدهشة والحيرة أمام معضلات الحياة والإشكاليات الكبرى التي تواجهنا في الحياة اليومية وما تولده من قلق وجودي، باحثة عن المعنى الكلي من حركة الحياة والعالم والتاريخ.

1. 2. التاريخ:

يهتم علم التاريخ بالماضي، فهو مجال معرفي يدرس التاريخ الماضي والأحداث الماضية، حيث يهدف علم التاريخ لسرد الأحداث الماضية والتحقق منها ووضعها في سياقها الصحيح، لإيصال صورة صحيحة عن الماضي للمطلع عليه في الحاضر. حيث يهدف التاريخ الى نقل صورة وصفية عن الأحداث الماضية من خلال استخدام مناهج معينة، وهو ما يشرع وصفه ب"علم التاريخ".

التاريخ العام هو تاريخ الأحداث السياسية، فهو يرتبط بأهم الأحداث والتحولات الاجتماعية والسياسية والدينية. كما أن التاريخ يمكن أن يجمل كل المجالات تقريبا، فهنالك تاريخ للعلوم، تاريخ للفنون، تاريخ للفلسفة وغيرها...

1. 3. فلسفة التاريخ:

تعتبر فلسفة التاريخ أحد المجالات التي تهتم بها الفلسفة، فهي تجمع في اهتمامها بين التاريخ وبين الفلسفة، وإذا كانت الفلسفة تهتم بالتأمل في مكنونات الحاضر واستشراف المستقبل، وإذا كان التاريخ يهتم بالماضي، فإن فلسفة التاريخ تهتم بالأبعاد الثلاثة، فهي تهتم بدراسة التاريخ الماضي من أجل فهم الحاضر، واستشراف المستقبل بطريقة موضوعية.

تهدف فلسفة التاريخ عموما للسؤال عن المعنى العام الذي يحكم ويحرك التاريخ، كما تبحث عن الغاية منه وعن القوى التي تحركه وتسيره، وتهدف أيضا لإيجاد القوانين العامة التي تحكم التاريخ، وتحدد طبيعة مسارات حركة التاريخ، بحثا عن مصير الانسان داخل حركة التاريخ العامة.

1. 4. فلسفة الحضارة:

هنالك مصطلح يتداخل مع فلسفة التاريخ وهو فلسفة الحضارة، لذا وجب على الأقل ايجاد تعريف يمكن ان يفضل بينهما، ففلسفة التاريخ بالعموم تضم فلسفة الحضارة، لان التاريخ

يدرس الحضارات والحضارات تعتبر أكبر وحدة تاريخية فهي تضم الدول والكيانات السياسية والثقافية والأديان وغيرها، لكن التاريخ أوسع من مفهوم الحضارة، لذا فإن فلسفة الحضارة بهذا المعنى هي جزء من كل الذي هو فلسفة التاريخ.

لا تدرس فلسفة الحضارة تاريخ الحضارة بل تدرس أسباب نهوض وسقوط الحضارات والقوانين التي تحكم تلك العملية، بالتالي يمكن تعريفها على أنها تتناول بالدراسة والبحث موضوع "الحضارة" من حيث أسباب نشأتها، تطورها، ازدهارها وثم سقوطها، انحلالها واندثارها.

2. العلاقات

2. 1. العلاقة بين التاريخ وفلسفة التاريخ

يدرس علم التاريخ الأحداث الماضية، فمجاله المعرفي هو "الماضي" حصرا، كما يركز اهتمامه على دراسة أحداث تاريخية معينة بطريقة تفصيلية وجزئية. أما فلسفة التاريخ فهي تهتم بدراسة الأحداث التاريخية بشكل عام بحثا عن اعطاء نماذج تفسيرية عن التاريخ العام، فهي وان كانت تهتم بالماضي كتاريخ للأحداث، فإنها أيضا تمتد باهتماماتها الى مجال الزمن الماضي والمستقبل. ذلك أن فلسفة التاريخ تهتم بأحداث الماضي بحثا عن اعطاء نماذج فهم تفسيرية عن التاريخ تجعلنا نفهم الراهن والحاضر، ونستشرف المستقبل من خلال دراسة الماضي بحثا عن المعنى العام من سيرورة التاريخ. ففلسفة التاريخ تتناول التاريخ في كليته ويمتد مجالها المعرفي الى الأبعاد الزمنية الثلاثة: الماضي ، الحاضر ، المستقبل. أما علم التاريخ فانه يدرس الأحداث الجزئية والتفصيلية، ويهتم حصرا بالزمن الماضي.

2. 2. العلاقة بين الفلسفة والتاريخ

يتطلب تحديد العلاقة بين الفلسفة والتاريخ تحديد مهام وخصوصية كل منهما، فتهتم الفلسفة بالكليات وتطرح الاشكاليات العامة بحثا عن المعنى والنماذج التفسيرية الكلية، أما التاريخ باعتباره "علما" فهو يهتم بمواضيع محددة ودقيقة، أي أنه يهتم بالجزئيات بحثا عن ايجاد

نموذج تفسيري عن قوانين تلك الظاهرة المحددة بالتفصيل والتدقيق. وعلى هذا فإن الفيلسوف المشتغل بالفلسفة حين يبحث في التاريخ فإنه يبحث عن نموذج فهم وتفسير عام للتاريخ. أما المؤرخ المشتغل بعلم التاريخ فإنه يبحث في حادثة محددة أو مرحلة تاريخية معينة، يركز فيها جهوده الفكرية واهتمامه البحثية. لكن هذا لا يعني القول بتعارض الفيلسوف والمؤرخ من الهدف أو الغاية، بقدر ما يحيل لعلاقة قوامها التكامل المعرفي المطلوب من كلا الطرفين.

ذلك أن "الفيلسوف" يحتاج للمادة المعرفية التاريخية الجزئية التي مكنه من خلالها القيام بالتركيب والاستنتاج لبناء نماذج تفسيرية كلية. وهكذا فإن معرفة تاريخية مؤسسة بموضوعية وعلمية ومتحقق منها تعد أحسن ما يمكن أن يطلق منه فيلسوف التاريخ في بناء نظريته. ذلك أن الانطلاق من مقدمات خاطئة يقو الى الوصول الى نتائج خاطئة، والعكس صحيح. بالتالي فإن نموذجا تفسيريا كليا صائب يتطلب أولا معارف جزئية صائبة. ومن هنا حاجة الفيلسوف للمؤرخ.

أما المؤرخ فإنه بحاجة الى الفلسفة، وذلك بما توفره الفلسفة مناهج عقلية ومناذج تفسيرية تساعد المؤرخ على الخروج من تلك النمطية التي يمكن ان تحصره فيها دراسة الأحداث الجزئية. فالتاريخ ان كان علما، الا انه ليس علما دقيقا مخبريا، يمكن المؤرخ من الانفراد بالظاهرة والانعزال بها في المخبر. بل إن التاريخ ظاهرة انسانية بامتياز، وينطبق عليها ما ينطبق على باقي الظواهر الانسانية، من تداخل الذاتية مع الموضوعية، وصعوبة القبض على الظاهرة، ومرونتها وغيرها ... فالتاريخ هكذا هو لوحة كبيرة من الأحداث التاريخية، مثل لعبة "puzzle"، قد تحتاج نموذجا تفسيريا يرجع الى المؤرخ مرة الى مرة من أجل بناء صحيح للأحداث ووضعها في سياقها الصحيح. فحاجة المؤرخ للرؤية النقدية واستخدام المناهج العقلية تعني ضرورة حاجته الى الفلسفة، وفلسفة التاريخ بالخصوص.

يمكن القول أن العلاقة بين المؤرخ والفيسلوف هي علاقة تكاملية، فالفيلسوف يحتاج لعمل وتحقيقات المؤرخ من أجل ضبط أفكاره واخراجها من الذاتية الى الموضوعية، والمؤرخ يحتاج

الفيلسوف من أجل اخراجه من النمطية والسذاجة التي يمكن ان تجعل منه مجرد آلة غير واعية لتدوين الأحداث.

3. الأسئلة الكبرى لفلسفة التاريخ

تبلور فلسفة التاريخ نظرياتها ونماذجها التفسيرية للتاريخ الانساني من خلال طرح مجموعة من التساؤلات والاشكاليات العامة، التي تتفرع منها بدورها مجموعة من الاشكاليات والأسئلة الجزئية، والتي يمكن تسميتها بالأسئلة الكبرى أو الرئيسية لفلسفة التاريخ، والتي يتم ذكرها أهمها في ما يلي:

1. هل للتاريخ معنى وغاية؟ وما طبيعتها؟

قوام هذا السؤال اشكالية المعنى والغاية والتساؤل حول طبيعة القوى التي تحرك التاريخ؟ وقد تعددت نظريات فلسفة التاريخ التي تبحث عن المعنى والغاية من التاريخ وانقسمت الى التي تقول بعدم وجود معنى واضح للتاريخ (النظرية العبثية) أو تلك التي تقول بوجود معنى للتاريخ –وهي تمث التيار الغالب–، والتي بدورها اختلفت في طبيعة تلك الغاية والمعنى، فهنالك من رده الى العناية الإلهية وقوى ميتافيزيقية خارج ارادة البشر، وهنالك من رده الى برمجة طبيعية تتجاوز ارادة الانسان متمثلة في الحتمية الطبيعية، في حين هنالك من رده الى فعل الانسان وإرادته ذاته، باعتبار الانسان هو البطل الرئيسي المحرك لمسرحية التاريخ.

2. هل الجماعات أم الافراد هم من يحركون التاريخ؟

اشكالية الفرد والجماعية وأيهم يؤثر في الاخر ويحركه تبقى أحد اهم الاشكاليات الجدلية المطروحة في فلسفة التاريخ، وهي اشكالية قوامها سؤال جدلي بين الارادة والحتمية، فإما قدرة وإرادة الأفراد والأبطال والعباقرة على تغيير التاريخ، واما ان المجتمع العضوي هو الأصل في حركة التاريخ ، وأن الفرد ما هو في النهاية الى جزء من ذلك المجتمع وخاضع لحتمياته.

3. ما طبيعة مسار التاريخ؟

يتناول هذا السؤال طبيعة مسار التاريخ، محاول تحديد خصائص ذلك المسار واتجاهه وطبيعته، من خلال طرح الأسئلة الموالية الى أين يسير التاريخ؟ ومن أين بدأ؟ والى اين

سينتهي؟ وما طبيعة المسار الذي يسلكه التاريخ؟ هل يتقدم الى الامام باستمرار؟ أم انه يكرر نفسه؟ أم غير ذلك؟

وقد انقسمت أهم نظريات فلسفة التاريخ في هذا السياق الى فرعين : من تقول بالمسار الخطي، ومن تقول بالمسار الدوري.

4. هل التاريخ يقبل إصدار الاحكام الاخلاقية ؟

ان الاحداث التاريخية تحمل دوما تفاصيل صادمة، خصوصا الاحداث السياسية وما تحمله من حروب وخيارات يصعب اصدار الاحكام الاخلاقية بشأنها. فبأي معيار يمكن وصف شخصية تاريخية على أنها شريرة أم خيرة؟ وبأي معيار يمكن ان نصف الحدث الفلاني على انه فتح مبين أم أنه احتلال مدمر؟ هل التاريخ أصلا يقبل الاحكام الاخلاقية من خير وشر؟

5. سؤال الذاتية والموضوعية في التاريخ ؟

هل يمكن دراسة التاريخ دراسة موضوعية ؟ بحيث يمكن ان نجعل من منه علما نتائجه مضبوطة ومتفق عليها ؟ أم ان الذاتية هي سمة مرتبطة بطبيعة "التاريخ" ذاته، ولا يمكن اغفال حساباتها في دراسة التاريخ ؟

6. أي دور للفلسفة في تفسير التاريخ ؟

ما علاقة الفلسفة بالتاريخ ، وما علاقة الفيلسوف بالمؤرخ ، وكيف يستفيد كلهما من الآخر ؟ وكيف تساهم الفلسفة في قراءة التاريخ ؟ كلها أسئلة تتطرق لاشكالية مفهوم فلسفة التاريخ والعلاقة بين الفلسفة والتاريخ.